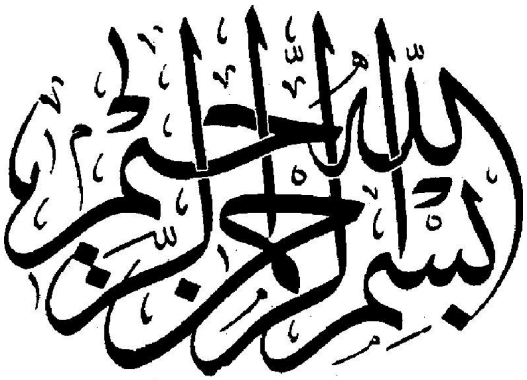

طبع على نفقة مؤسسة السيد

مجيد الماجد وأولاده

مملكة البحرين ١٤٢٨هـ ق

توزيع: مؤسسة المرتضى

ثقافية ـ اجتماعية

الهاتف: ١٧٢٥٩٥١٥ ـ ٠٠٩٧٣١٧٢٣٠٢٣٢

الفاكس: ٠٠٩٧٣١٧٢٥٤٦٩٠

ص.ب: ١٩٢١ المنامة ـ البحرين

الإمام الحسين عليه السلام
استثناء في عالم الوجود

من محاضرات

سماحة آية الله العظمى

السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله

اعداد

مؤسسة الرسول الأكرم الثقافية

الإمام الحسين سلام الله عليه **استثناء في عالم الوجود**

سماحة آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله

قرّرها: .....عبد الرضا افتخاري

تنضيد وإخراج:..... علي شيخ حائري

الناشر: .....ياس الزهراء (س)

المطبعة: .....سيماي كوثر

الطبعة: .....الأولى

سنة الطبع: .....١٤٢٨ هـ ق

عدد النسخ:..... ١٠٠٠٠

ردمك: ٠ـ٣٥ـ٢٨٤٣ـ٩٦٤ـ٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين *.

روى إبراهيم بن أبي محبوب[1] رواية مفصّلة عن

(*) كلمة المرجع الديني سماحة آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله في جمع من مسؤولي وأعضاء الهيئات والمواكب الحسينية الذين قاموا بزيارته في بيته المكرّم بمدينة قم المقدّسة يوم الجمعة الموافق للثاني والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام ١٤٢٧ للهجرة، للاستفادة من إرشادات سماحته القيّمة.

(١) من ثقات أصحاب الإمام الرضا سلام الله عليه، ومن الذين نقلوا عن الإمام سلام الله عليه رواياتٍ وأحكاماً متعدّدة في أبواب الفقه المختلفة.

الإمام الرضا سلام الله عليه، في قضية الإمام الحسين سلام الله عليه وواقعة عاشوراء جاء فيها:

«إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا وأسبل دموعنا وأذلّ عزيزنا...»[1].

وقد أشكل البعض على هذه العبارة من ثامن الحججِ سلام الله عليه وقالوا: وكيف يمكن للمصائب أن تقرح الأجفان؟

الحقيقة: إنّ هذه الإشكالات تصدر في الغالب من بعض السذّج الذين لا باع لهم في ميدان العلم والمعرفة، ويريدون بهذه الإثارات والإشكالات أن يتظاهروا بالعلم ويبرزوا عضلاتهم العلمية ـ إن صحّ التعبير ـ أمام أهل البيت سلام الله عليهم وعلمهم ومقامهم؛

(١) أمالي الصدوق: المجلس ٢٧، الحديث ٢.

غافلين أنّ من يقوم بهذا الأمر في مقابل أهل البيت سلام الله عليهم سيفتضح أمره سريعاً وتبدو عورة جهله، فمن الأولى به أن يقوم بهذا الدور وفتل العضلات أمام غير أهل البيت سلام الله عليهم.

ثم إنّ التشكيك بأقوال أهل البيت سلام الله عليهم وبمنزلتهم ليست جديدة ولا وليدة هذا العصر، بل كانت موجودة في عصر الأئمّة سلام الله عليهم أيضاً بل منذ زمن النبي صلّى الله عليه وآله، فكان هناك من يقف في وجه أقوال النبي صلّى الله عليه وآله ويبدي نوعاً من المعارضة.

فعلى سبيل المثال، يوم أخبر النبي صلّى الله عليه وآله عن ثواب زيارة الإمام الحسين سلام الله عليه استكثرت عائشة ذلك، كما روي عن الإمام الصادق سلام الله عليه في قوله:

كان الحسين بن علي سلام الله عليه ذات يوم في حجر النبيّ صلى الله عليه وآله يلاعبه ويضاحكه، فقالت عائشة: يا رسول

الله ما أشدّ إعجابك بهذا الصبي؟
فقال لها: ويلك وكيف لا أحبّه ولا أعجب به وهو ثمرة فؤادي وقرّة عيني؟ أما إنّ أمّتي ستقتله. فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجّة من حججي.
قالت: يا رسول الله حجّة من حججك؟!
قال: نعم حجّتين من حججي.
قالت: يا رسول الله حجّتين من حججك؟!
قال: نعم وأربعة.
قال: فلم تزل تزادّه ويزيد ويضعف حتى بلغ تسعين حجّة من حجج رسول الله صلى الله عليه وآله بأعمارها[1].

---

(١) الكامل في الزيارات: الباب الثاني والعشرون قول رسول الله صلى الله عليه وآله ...، ص٦٨، ح١.

فهذه الاعتراضات ليست جديدة، وهي ما تزال مستمرّة حتى يومنا هذا، ولكنها لم تورث أصحابها إلاّ الخيبة والفضيحة، لأنّ الله تعالى وعد أن لا يزيد معارضي الإمام الحسين سلام الله عليه إلاّ الخيبة، وشعائر الإمام الحسين سلام الله عليه إلاّ ظهوراً، كما صرّح النبي صلّى الله عليه وآله بذلك وحدّثت به زينب الكبرى سلام الله عليها عندما رأت حال ابن أخيها السجّاد سلام الله عليه بعد مصرع أبيه وإخوته، فسلّته سلام الله عليها بذلك الحديث.

فقد روي عن الإمام زين العابدين سلام الله عليه أنّه قال:

«لما أصابنا بالطفّ ما أصابنا وقُتل أبي سلام الله عليه وقُتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله، وحُملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يُراد بنا الكوفة، فجعلتُ أنظُر إليهم صرعى ولم يواروا،

فعظُم ذلك في صدري واشتدّ لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج وتبيّنتْ ذلك منّي عمّتي زينب الكبرى بنت علي عليه السلام فقالت: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي وإخوتي؟

فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيّدي وإخوتي وعمومتي وولد عمّي وأهلي مصرّعين بدمائهم مرمّلين بالعراء مسلوبين لا يكفّنون ولا يوارون ولا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر، كأنّهم أهل بيت من الديلم والخزر.

فقالت: لا يجزعنّك ما ترى، فوالله إنّ ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جدّك وأبيك وعمّك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمّة لا تعرفهم

فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات أنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرّجة، وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء، لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيّام، وليجتهدنّ أئمّة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره إلاّ ظهوراً، وأمره إلاّ علوّاً»[1].

(١) كامل الزيارات: الباب ٨٨، ص٢٦٢، ح١.

قرح الجفون على مصاب الإمام سلام الله عليه

أما الإجابة على الإشكال (وهو كيف تقرح الجفون بسبب المصاب) فبسيط يعرفه من له أدنى إلمام بالطبّ. فإنّ جفن العين رقيق جدّاً، بل لعلّه من أرقّ المواضع الظاهرية لبدن الإنسان، ومن البديهي أنّ الشيء كلّما كان رقيقاً كان أكثر عرضة للإصابة بالأذى أو الضرر. فحينما يحزن القلب ويتأثّر من شدّة المصاب تقوم الغدد الموجودة خلف العين بتبديل الدم إلى دمع مالح. وإذا ازداد المرء حزناً ازداد الضغط على القلب، عند ذلك يزداد الضغط على هذه الغدد فتضعف ولا تعود قادرة على تبديل الدم إلى دمع، فيخرج في هذه الحالة الدم من العين بدل الدموع. ومن الواضح أنّ الدمع مالح وعند تكرّر ملامسته للجفن يجرحه. ولهذا قال مولانا المفدّى الإمام المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف في زيارة جدّه

الإمـام الحـسين سلام الله عليه المعروفـة بزيـارة الناحيـة المقدّسة:

«فلأنـدبنّك صـباحاً ومـساءً ولأبكـينّ عليك بدل الدموع دماً»[1].

حزن دائم

يتبيّن من النصّ الذي نقلناه عن الإمام الرضا سلام الله عليه مطلع المقال أنّ عمق فاجعة كربلاء لا يدركها حقّاً إلاّ أهل البيت سلام الله عليهم وأنّ فهمنا لهذه الواقعة نـسبيّ وناقص.

إنّ الإمام الرضا سلام الله عليه يفهم عمق ما جـرى فـي كربلاء كما ينبغي، ولذلك ترى الواقعة حاضرة أمامه وهي نصب عينيه دائماً.

(١) زيارة الناحية المقدسة.

ويُفهم من حديث الإمام الرضـا سلام الله عليه المـذكور آنفاً أنّ أهل البيـت سلام الله عليهم جفـونهم مقرحـة دومـاً بسبب مصابهم بجدّهم الإمام الحسين سلام الله عليه ولـيس في أيّام شهر محرّم فحسب، فالكلام عامّ ولا يوجـد قيد فيه. ومـا ذلـك إلاّ لأنّهـم سلام الله عليهم حزنـى علـى أحـداث يـوم عاشـوراء دائمـاً وجفـونهم مقروحـة لكثـرة بكـائهم علـى مـصاب جـدّهم أبـي عبـد الله الحسين سلام الله عليه.

إننا أيـضاً ـ وتأسّـياً بأئمّتنـا سلام الله عليهم ـ يجـب أن نستحضر مصائب كربلاء دوماً، ويجدر بنـا أن نزيـد من معلوماتنا في هذا المجال أيـضاً ولا نكتفـي بمـا نسمع في مجالس العزاء، ومـن المناسـب أن نطـالع

كتباً في هذا المجال مثل «معالي السبطين»[1] الذي يشتمل على مطالب جيّدة عن سيد الشهداء سلام الله عليه.

فقضية مولانا سيد الشهداء سلام الله عليه قضية عظمى وإنّ مصاب أهل البيت سلام الله عليهم وشيعتهم بالإمام الحسين سلام الله عليه عظيم جدّاً، ولهذا كان السلف الصالح من علمائنا الأجلاّء يهيّئون أنفسهم لإحياء وتعظيم الشعائر الحسينية من بعد عيد الغدير. أي أنّهم كانوا يهيئون لها مقدّمات الوجود ـ حسب الاصطلاح العلمي ـ .

(١) معالى السبطين في أحوال السيدين الإمامين الحسن والحسين سلام الله عليهما، تأليف: الشيخ محمد مهدي بن عبد الهادي المازندراني الحائري (ت: ١٣٨٥ هـ).

تعجيل العقوبة لأعداء الإمام سلام الله عليه

ثمّ إنّ هذه القضية لا يمكن مواجهتها أو التقليل من عظمتها لأنّ الله سبحانه وعد بأن يبقى علم الطف شامخاً وذكر الحسين سلام الله عليه خالداً مهما جهد الأعداء في محوه أو تطميسه، كما جاء في الرواية التي ذكرناها آنفاً، وأنّه تعالى يعجّل العقوبة ـ في الدنيا قبل الآخرة ـ على كلّ من يحارب الإمام الحسين سلام الله عليه أو يحارب شعائره.

وقد ذكر في كتب المقاتل أنّ الإمام الحسين سلام الله عليه حفر خندقاً حول معسكره وأضرم فيه النار حتى لا يهجم الأعداء من كلّ الجهات[1]. فجاء رجل من

(١) وهذا نوع من التكتيك العسكري، ما يعني أنّ الإمام سلام الله عليه كان يعمل ما يقتضيه الدفاع الظاهري، وإن كان هدفه الشهادة ويعرف المصير.

بني تميم يقال لـه عبـد الله بـن حـوزة فأقـدم علـى عسكر الحسين سلام الله عليه، فناداه القوم: إلى أين ثكلتك أمّك؟ فقال: إني أقدم على ربّ رحيم وشفيع مطـاع. فقال الحسين سلام الله عليه لأصحابه: مَن هذا؟ قيـل: هـذا ابن حوزة. فقال سلام الله عليه:

«اللهم حزه إلى النار».

فاضطربت به فرسه فـي جـدول فوقـع وتعلّقـت رجله اليسرى بالركاب وارتفعت اليمنى، فـشدّ عليـه مسلم بن عوسجة فـضرب رجلـه اليمنـى فطـارت، وعدا به فرسه يضرب برأسه كلّ حجـر وكـلّ شـجر حتى مات وعجّل الله بروحه إلى النار[1].

ولم يكن هذا حال الذين دعا عليهم الإمام فقـط، بل حتى الذين لم يـدعُ علـيهم مـن أعدائـه والـذين

(١) الإرشاد: ج٢، ص١٠٢.

قاتلوه لم يبقوا في الدنيا بعد استشهاده سلام الله عليه أكثـر من بضع سنين.

وهذا لا يخصّ الذين حاربوه في حياته بل يشمل الذين يحاربون شعائره ويؤذون محبّيه.

وقد نقل لي أحـد الإخـوة العـراقيين مـن الـذين زارونا بعد سقوط النظام البعثـي أنّ النظـام كـان قـد شدّد في السنوات الأخيرة على مواكب المـشاة إلـى زيارة الإمام الحسين سلام الله عليه وكانت عقوبـة الزائـرين تصل إلى السجن والتعذيب وحتى الإعدام.

وفي إحدى السنوات لمحت مجموعة من شـرطة أمن النظام الذين كانوا على الطـرق الخارجيـة صـبيّاً (بين العاشرة والثانية عشرة من العمر) فشكّوا فيه أنه يعمل مخبراً للزوّار أو مرشـداً لهـم علـى الطريـق ـ وكان الأمر بالفعل كذلك فكـان هـذا الـصبيّ يرشـد الزوّار المشاة إلى مواقـع للـضيافة والاسـتراحة عنـد

القبائل المحيطة ثم يواصلون سيرهم مرّة أخرى ـ فسأله أحد أولئك الشرطة: لماذا أنت هنا؟ فأجابه الصبيّ بجواب ما وكان خائفاً مرتبكاً، فزاد شكّه به، فصفعه بقوّة على وجهه. فانتقم الله منه فوراً، ولم يطل الأمر به، إذ لما همّ اللعين بركوب سيارته عثر فعلق سلاحه بطرف السيارة، ففرغت رصاصاته في رأسه وهلك على الفور.

ومن الواضح لو أنّ هذا الشرطي كان قد كفر بالله عشرات السنين لما كان الله انتقم منه بهذه السرعة، ولكنه تعالى عجّل بهلاكه انتقاماً لهذا الصبيّ الذي كان من محبّي الإمام الحسين سلام الله عليه والعاملين في طريق إحياء ذكراه وتعظيم شعائره.

وأحسن دليل على ما نقول، فرعون وشدّاد وأمثالهما الذين أمهلهم الله تعالى ولم يعجّل عقوبتهم في الدنيا رغم مجاهرتهم بالكفر ومحاربة الله تعالى.

أمّا أعداء سيد الشهداء سلام الله عليه فإنّ الله ـ بسبب تعامله الاستثنائي مع قضية سيد الشهداء سلام الله عليه ـ لا يمهلهم أبداً بل يأخذهم فوراً بأشدّ العذاب.

وإذا كان الله تعالى يعامل أعداء الإمام الحسين سلام الله عليه هكذا في الدنيا، فما أشدّ عذابهم في الآخرة؟!

صحيح أنّ الدنيا دار بلاء وامتحان، وأنّ الله جعل الإنسان فيها مخيّراً في أن يكون من عباده الصالحين أو من ألدّ أعدائه كفرعون وشدّاد، وأنّه تعالى قد يمهل الظالمين وأعداءه في هذه الدنيا ويجعلهم يعيشون ويجيز لهم حتى بمحاربته هو ـ عزّ وجلّ ـ فقد أمهل فرعون الذي بارزه وادّعى الربوبية وقال: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾[1] أربعمئة عام ولم يأخذه على

(١) سورة النازعات: الآية ٢٤.

الفـور، وكـذلك أمهـل شـداداً ـ كمـا روى العلاّمـة المجلسي ـ تسعمئة عام ولم يعجّل في معاقبته...

ولكنّ الله تعالى آلـى علـى نفـسه أن يعجّـل فـي الانتقام من قتلة الحسين سلام الله عليه وأعدائه، فلم يمهـل يزيد وشمراً وعمر بن سعد وابـن مرجانـة وأمثـالهم من الذين حاربوا الإمـام الحـسين سلام الله عليه فـي يـوم عاشوراء ـ لعنة الله عليهم أجمعين ـ بـل أهلكهـم جميعـاً بعـد استشهاد الإمام الحسين سلام الله عليه بفتـرات قـصيرة لـم تزد على الخمس سنوات؛ مع العلم أنّ أيّاً مـنهم لـم يدَّعِ الربوبية كما ادّعاها فرعـون ولـم يكـن كـشدّاد ونمرود.

أجل إنّ يزيد أنكر الوحي، فقال:

لعبتْ هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل[1]

ولكنه لم يدّع الربوبية على كـلّ حـال ـ فلِـم لـم يمهلـه الله تعـالى كمـا أمهـل فرعـون الـذي ادّعـى الربوبية، وهكذا الحال مع ابـن سـعد وشـمر وسـائر قتلة الإمام الحسين سلام الله عليه.

إنّ الله تعالى هو المالك للرقاب دائماً ولا يخـاف

(١) ذكرت المصادر التاريخية أنه عندما جيء بأسرى آل الله عند يزيد، ووضعوا الرأس المقدّس للإمام الحسين سلام الله عليه بين يديه صار يضرب على شفتيه المباركتين بمخصرة بيده ويردد هذه الأبيات:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

اللهوف: ص ١٨٠.

الفوت أبداً ليعجل (فإنّما يعجل من يخاف الفوت) وله سبحانه الآخرة وسيحاسب فيها الظلمة جميعاً ويأخذهم بالعذاب ـ سواء قتلة الحسين سلام الله عليه أو غيرهم كفرعون وشدّاد وسائر الكفار والطواغيت ـ فلماذا إذن عجّل بقتلة الإمام الحسين سلام الله عليه ولم يمهلهم كما أمهل سائر الظلمة والكفرة وأعداء الله تعالى؟

علّة ذلك أنّ الله سبحانه جعل قضية الإمام الحسين سلام الله عليه استثنائية، وجعل تعامله معها تعاملاً استثنائياً، ومن جملة الأمور التي استثني فيها واستثنيت قضيته، تعجيل العقوبة لأعدائه وظالميه.

إنّ هذا التعجيل بالعذاب لقتلة الحسين سلام الله عليه تعبير آخر عن استثنائية قضية الإمام الحسين سلام الله عليه لدى رب العالمين. فهكذا اقتضت الإرادة والمشيئة الإلهية بأن يتعامل مع قضية الإمام الحسين سلام الله عليه

بنحو استثنائي، ليس في هذا المورد فقط بل في موارد كثيرة جدّاً لا تعدّ.

الإمام الحسين سلام الله عليه أكثر المعصومين ذكرا

ومن الاستثناءات الأخرى للإمام الحسين سلام لله عليه ذكره أكثر من باقي المعصومين سلام الله عليهم حتى من هم أفضل منه كجدّه وأبيه وأمّه وأخيه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ففي كتاب «معالي السبطين» مثلاً ـ وهو كتاب أُلّف في أحوال الإمامين السبطين الحسن والحسين سلام الله عليهما ـ نجد أنّ ما ذُكر حول الإمام الحسين أكثر مما ذكر عن أخيه الإمام الحسن سلام الله عليهما بعشر مرّات تقريباً. فقد كتب مؤلّفه عن الإمام الحسن سلام الله عليه (٦٠) صفحة بينما كتب عن الإمام الحسين سلام الله عليه أكثر من (٦٠٠) صفحة، مع أنّ مؤلفه ـ لا شكّ ـ يعلم أنّ الإمام الحسن سلام الله عليه أفضل من أخيه الإمام الحسين سلام الله عليه.

ولكن ما وردنا عن الإمام الحسين سلام الله عليه أكثر بكثير ليس في كتاب «معالي السبطين» فقط بل في كلّ ما وردنا من سائر المصادر. والسبب في ذلك يعود لما لقضية الحسين سلام الله عليه من حالة استثنائية، مع أنّ ما وصلنا هو قليل من كثير كثير أحرق أو أُتلف من قبل الأعداء.[1]

انظروا من هو المشهور اليوم في العالم؟ الحسين سلام الله عليه أم الذين حاربوه؟ ومن يبلغ شهرة الإمام الحسين ومجده؟ بل هل يوجد في العالم من اسمه مشهور ومحبوب كالحسين سلام الله عليه؟ حتى إن كثيراً

(١) فعلى امتداد التاريخ أحرقت الكثير من الكتب التي حوت روايات وأحاديث في فضائل ومناقب الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن والإمام الحسين سلام الله عليهم ولكن صار الناس يذكرون أهل البيت سلام الله عليهم أكثر على رغم كلّ تلك المحاولات.

من الذين لا يعرفون حتى الله تعالى يتغنّون باسم الإمام الحسين سلام الله عليه وترى حتى بين الوثنيين من قال قصيدة في الحسين سلام الله عليه أو رثاه، دع عنك غير المسلمين وغير الشيعة، فما بالك بمحبّيه من المؤمنين ومن أهل السماوات؟

الحاصل أنّ الإمام الحسين سلام الله عليه استثناء. فلنسع نحن أيضاً أن يكون تعاملنا مع قضيته استثنائياً، فلا يُخدعنّ أحد منّا ببعض السذّج، فإنّ الله ينتقم للحسين سلام الله عليه أسرع مما ينتقم لذاته المقدّسة وأسرع من انتقامه لسائر أوليائه. فهكذا اقتضت إرادته وبهذا تعلّقت مشيئته.

عاشوراء في الصحاح الستّة

انظروا إلى الصحاح الستّة لدى أهل العامّة، فقد تعمدوا إخفاء نور الإمام الحسين سلام الله عليه والأحاديث

حول مكانته وفضائله، وسعوا أن لا يذكروه ما أمكن. وهذا واضح للباحث المتتبّع، ولكن من يراجع هذه الكتب يجد ـ رغم ذلك ـ أحاديث كثيرة تبيّن عظمة سيد الشهداء سلام الله عليه وقضيّته.

فقد نقلوا «عن نجيّ الحضرمي أنّه سار مع عليّ سلام الله عليه وكان صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفّين. نادى:

صبراً أبا عبد الله صبراً أبا عبد الله.

قلت: ماذا أبا عبد الله؟ قال:

دخلت على النبي صلّى الله عليه وآله ذات يوم وعيناه تفيضان.

قلت: يا نبيّ الله ما لعينك تفيضان؟ أغضبك أحد؟

قال: بل قام من عندي جبرئيل قبل فحدّثني أنّ الحسين يُقتل بشاطئ

الفرات. فقال لي: هل لك إلى أن أشمّك من تربته؟

قلت: نعم.

فمدّ يده فقبض من تراب فأعطانيها، فلم أملك عينيّ أن فاضتا».[1]

ولا يخفى أن قصّة مرور الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه على كربلاء في طريقه إلى صفّين تعود إلى ما قبل عشرين سنة من أحداث كربلاء، وإنّ عبارة «عينيك تفيضان» تختلف عن عبارة «تبكي» مثلاً؛ لأنّ الإناء لا يفيض إلاّ بعد أن يمتلئ، فبعد أن يمتلئ ويزداد يفيض الماء من جوانبه، فهذه الحالة يطلق عليها ـ في العربية ـ الفيضان، وكذلك تطلق هذه

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج١، ص٨٥؛ مسند أبي يعلى: ج١، ص٢٩٨، ح٣٦٣؛ المعجم الكبير للطبراني: ج٣، ص١٠٥، ح٢٨١١.

الكلمة عندما تطغى الأنهار ويجري السيل. أمّا في حالة البكاء العادية فلا يقال: إنّ فلاناً عيناه تفيضان بالدموع. وهذا يدلّل على مدى حزن وتألّم النبي صلّى الله عليه وآله لمصاب حفيده الإمام الحسين سلام الله عليه.

لذلك ينبغي التأمّل في عبارة الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه (تفيضان) علماً أنّ أهل البيت سلام الله عليهم هم أمراء الكلام[1].

النكتة الأخرى الجديرة بالتأمل هي سؤال الإمام سلام الله عليه من النبي صلّى الله عليه وآله عن علّة بكائه، فهذا يسمّى في الاصطلاح «سؤال العارف»؛ لأنّه من المسلّم أنّ الإمام يعرف السبب، ولكن مثل هذه الأسئلة لها فوائد وحكم منها التعليم لغيره، وكم له من نظير في القرآن

(١) قال الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه: إنّا لأمراء الكلام، نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٣.

الكريم وأحاديث أهل البيت سلام الله عليهم. فعلى سبيل المثال: يقول الله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[1]؟ مع أنّه سبحانه هو العالم بالخفيّات بل هو أعلم من موسى بما في يمينه.

وصايا للمؤمنين لاسيما الشباب

إنّني أوصي المؤمنين ولا سيّما الشباب بضرورة إحياء وتعظيم الشعائر الحسينية وتجنّب إيراد الإشكالات على العزاء الحسيني والمعزّين، وليعلموا: كما أنّ الحزن على أبي عبد الله الحسين سلام الله عليه وتعظيم شعائره وكلّ خدمة في سبيل إقامة مجالس العزاء على مصابه بل حتى قطرة من الدمع تسكب من أجله سلام الله عليه غالية جداً ولها أجر عظيم وتطفئ

(١) سورة طه: الآية ١٧.

غضب الربّ، كذلك العكس بالعكس فإنّ التعرّض لقضايا الإمام الحسين سلام الله عليه والشعائر الحسينية ومحاربتها لها عقاب عظيم جداً بالنسبة نفسها.

فأقلّ حديث ضدّ التعزية لمصابه أو المعزّين، فيها خطر وضرر على من صدر عنه. وهكذا الاستهزاء بالمعزّين أو تثبيطهم أو وضع العراقيل في طريقهم أو مؤاخذتهم على نوع وطريقة شعائرهم.

لذا أوصيكم بأن تجنّبوا أفواهكم من الاعتراض والإشكال على الشعائر الحسينية، ولو بكلمة واحدة، حتى إن كانت غير عمد؛ فإنّ هذا لعب بنار الآخرة لا نار الدنيا، وشتّان بينهما، فنار الدنيا غاية ما يمكن أن تفعله أن تقضي على الحياة الدنيوية للإنسان؛ فبدلاً من أن يعمّر خمسين سنة مثلاً يعمّر أربعين سنة إذا أحرقته النار وأما نار الآخرة فيبقى من يدخلها معذّباً

أبداً ﴿**لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيى**﴾[1].

لذا فمن الحريّ بكلّ واحد منّا أن يقوّي مراسم عزاء سيد الشهداء سلام الله عليه ما أمكنه، وذلك من أجل سعادة الدنيا والآخرة.

فلا تقصّروا في تعظيم شعائر الإمام الحسين سلام الله عليه وزيارته حتى لا تنتابكم الحسرة يوم القيامة.

ما أعظم الإمام الحسين سلام الله عليه وشعائره، فإنّه ليس فقط من يعاديه ويحارب شعائره يعذّب عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة بل حتى المقصّر في حقّه سيصاب بالحسرة.

وقد روى معاوية بن رحب عن أبي عبد الله سلام الله عليه قال:

---

(١) سورة طه: الآية ٧٤.

قال لي [الإمام الصادق سلام الله عليه]:

يا معاوية لا تدع زيارة قبر الحسين سلام الله عليه لخوف؛ فإنّ من ترك زيارته رأى من الحسرة ما يتمنى أنّ قبره كان عنده».[1]

فإذا كان هذا حال من يقصّرون في زيارة الإمام الحسين سلام الله عليه فما حال الذين يثيرون الاعتراضات أو الإشكالات على شعائره، أمّا الذين يحاربون شعائره ويعتدون على زوّاره ويريدون إطفاء نوره ـ الذي أبى الله إلا أن يتمّه ـ فأمرهم معلوم.

فأعينوا بأموالكم وأقلامكم وطاقاتكم وشبابكم وأعماركم وقلوبكم وكل امكاناتكم في خدمة العزاء الحسيني والشعائر الحسينية، لتزدادوا في كلّ ذلك بركة وتوفيقاً.

(١) كامل الزيارات: الباب الأربعون، ص١١٦.

وكونوا إيجابيين إزاء قضايا الإمام الحسين سلام الله عليه وشعائره دائماً.

وحتى لو كنت ترى شيئاً سلبياً في الشعائر الحسينية وترى بديلاً إيجابياً له، فلا تقل «إنه سلبيّ» بل اعمل أنت ما تراه إيجابياً أو اسع لعمل كلّ ما هو إيجابيّ في هذا الطريق.

واعلم أنّ النية الحسنة وحدها غير كافية لتوجيه النقد أو التعيير لما قد يبدو بنظرك سلبياً في هذا المجال.

وما أكثر مشاهداتي في هذا المجال، وهي تخصّ الحوزات والعلماء وهم معروفون بحسن نواياهم.

المرجع المجهول

أضرب لكم مثلاً واحداً:

المشهور بين الفقهاء كراهية اللباس الأسود

وكراهية الصلاة فيه، إلاّ أنّ الفقهاء يرون أنّ هذه الكراهية لا تبقى إذا كان لبس السواد من أجل الحزن للإمام الحسين سلام الله عليه بل تتبدل إلى الاستحباب.

أي: إنّه وإن كان هذا العمل مكروهاً في نفسه ـ وليس حراماً طبعاً ـ إلاّ أنه إذا كان من أجل سيد الشهداء سلام الله عليه والحزن على مصابه فسيكون مستحبّاً فضلاً عن رفع الكراهة.

وهناك رأي آخر لبعض العلماء يرى أنّ الكراهية تبقى ولا تتبدل إلى استحباب وإن كان من أجل سيّد الشهداء سلام الله عليه. وهو رأي فقهيّ على كلّ حال وإن لم يذهب إليه المشهور.

وكان أحد العلماء الماضين لا يرى استحباب لبس السواد حتى على الإمام الحسين سلام الله عليه، بل يرى أنّ اللباس الأسود يبقى على كراهيته وإن كان للإمام الحسين سلام الله عليه.

ولا بأس بذلك فهذا اجتهاده الفقهي، ولكنه كان يضرب لذلك مثالاً غير مناسب ـ لا أحبّ أن أذكره ـ.

ورغم أنّه كان عالماً جيّداً وله كتاب فقهيّ طُبع قبل حوالي قرن طبعة حجرية، ولديّ نسخة منه، ولقد نقلت عنه في بعض كتبي، ولم أكن أطّلع بعد على مثاله غير المناسب في مسألة لبس السواد على الإمام الحسين سلام الله عليه، لكن ما كان يثير عجبي وتساؤلي دائماً أنّه لِم كان مغموراً؛ فلم أر من يذكره أو ينقل عنه أحد رغم مرور بضع طبقات من الفقهاء بعده، حتى أنني ذكرت مطلباً أيّام شبابي أمام أحد كبار مراجع قم في تلك الأيّام، فاستغرب وقال: أين يوجد هذا؟ فذكرت له المصدر، فقال إنني لم أسمع به ولا بمؤلِّفه.

فكنت أتعجّب لذلك، حتى وقعتُ على المثال

الذي يضربه في كراهة لبس السواد على الإمام الحسين سلام الله عليه فعرفت السبب وراء انطماس ذكره وأنّ كل المشكلة تعود لهذه الكلمات غير اللائقة التي أطلقها في خصوص إحدى الشعائر الحسينية ـ وإن كان بحسن النية طبعاً[1] ـ فأصبح مجهولاً حتى في الحوزات العلمية. أي أنّ الله تعالى جازاه على مستوى فعلته في الدنيا. طبعاً: لا يعاقب على ذلك في الآخرة لأنّه اجتهاده.

وقد خشيت أن أصاب بنكبته لنقلي عنه وإشارتي إليه، فعمدتُ إلى ما نقلتُه عنه فحذفتُها من كتبي؛ لأنّ العلم لا يتوقّف على شخصٍ بعينه ولا على هذه الموارد وحدها.

(١) أي كان القبح ـ حسب اصطلاح أهل الكلام ـ فعلياً أي من جهة الفعل، لا فاعلياً ومن جهة الفاعل.

المهمّ: إنّ حسن النيّة وحدها ليست كافية في التعامل مع قضايا سيد الشهداء سلام الله عليه بل يلزم حسن العمل أيضاً، لأنّ أدنى اشتباه ـ وإن كان غير متعمّد وعلى سبيل القصور ـ سيكون له أثر وضعيّ سلبيّ شئنا أم أبينا، والشواهد على ذلك كثيرة.

فحذار حذار من التعرّض للشعائر الحسينية وإن كان بحسن نيّة؛ فإن الله تعامل مع الإمام الحسين سلام الله عليه بصورة استثنائية، فيجب علينا أن نتعامل مع قضاياه وشعائره بصورة استثنائية أيضاً، ولا نكن سلبيين أبداً بأن نقول: لا تفعلوا هذا ولا تفعلوا ذاك، بل لنكن إيجابيين دائماً ونسعى لتقديم ما هو الأفضل والأنقى والأكثر والأعظم في هذا المجال.

أسأل الله سبحانه أن يوفّقنا وإياكم في هذا السبيل، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

الفهرس

قرح الجفون على مصاب الإمام سلام الله عليه ١٢
حزن دائم ١٣
تعجيل العقوبة لأعداء الإمام سلام الله عليه ١٦
الإمام الحسين سلام الله عليه أكثر المعصومين ذكرا ٢٤
عاشوراء في الصحاح الستّة ٢٦
وصايا للمؤمنين لاسيما الشباب ٣٠
المرجع المجهول ٣٤
الفهرس ٣٩